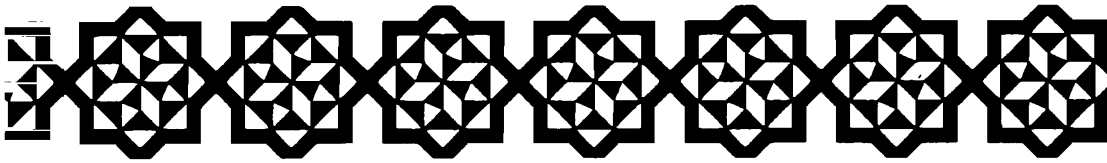

obeikandl.com

الفصل الرابع

الفتوحات الإسلامية فى المشرق

obeikandl.com

الفتح العربى فى المشرق

والكلام هنا يتناول جبهتين : خراسان ، ثم سجستان . فأما عن خراسان : فإنها كانت قد أصبحت فى عهد معاوية قاعدة هامة للدفاع عن حدود الدولة فى الشرق ، ولغزو الترك فيما وراء النهر (نهر بلخ ، أو جيحون) وبدأت منها بعض الفتوحات ، ولكن الأمور اضطربت فيها حينما حدثت الفتنة ، واستعرت روح العصبية القبلية ، فأدى ذلك كله إلى توقف الفتوحات . وبعد حروب قبلية تَغَلَّبَ على خراسان رجل من مضر اسمه « عبد الله بن خازم » ، وأخيرًا قُتل فى بعض هذه المواقع عام ٧٢ هـ .

فبعد سنتين ، أرسل أهل خراسان إلى عبد الملك يطلبون أن يولى عليهم والياً قُرشيًّا ، حتى لايقع التنافس بين القبائل ، فأرسل إليهم « أمية بن عبد الله » ــ وهو أخو « خالد بن عبد الله » ــ وهما من بنى أمية ، فانتظمت الأحوال أحسن من ذى قبل ، لكن لم يقضِ على المنازعات ولم تبدأ فتوح جدية ، ولم يثبت أمية كفاءته ، فعزله عبد الملك فى عام ٧٨ هـ ، وعين الحجاج الثقفى والياً على المشرق كله ــ بما فيه خراسان وسجستان ــ فاختار الحجاج المُهلّب بن أبى صفرة بعد أن انتصر على الخوارج ، وعينه والياً على خراسان . فَقَدِم إليها فى عام ٧٩ هـ ، فأخذت الأمور فى الاستقرار منذئذ ، وبدأ عهد من النشاط والتقدم ، واستؤنفت الفتوحات .

عبر « المهلب » النهر (نهر جيحون) الفاصل بين إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر ــ كما كانت تسميها العرب ــ وهى الآن بلاد « تركستان » وكان عبوره ذلك فى عام ٨٠ هـ . ثم بعث المهلب أولاده لغزو الجهات ، حتى

قاربوا مدينة « بخارى » . ومكث المهلب سنتين وراء النهر ، وأعاد للدولة هيبتها ، ومات فى عام ٨٢ هـ ، ومما يذكر أنه أحضر أولاده وأوصاهم وصية غالية بالاتحاد وعدم التفرق ، ومثل لهم ذلك بأن دعا بمجموعة من السهام ، فحزمت ، فقال : أترونكم كاسريها مجتمعة ؟ قالوا : لا . قال : أفترونكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا : نعم . قال : فهكذا الجماعة .

فولى الحجاج يزيد بن المهلب فى عام ٨٣ هـ مكان أبيه ، فتمكن يزيد من الاستيلاء على قلعة « باذغيس » الحصينة فى عام ٨٤ هـ . ثم فى العام التالى عزله الحجاج وولى مكانة أخاه « المفضل بن المهلب » . فلبث فى الولاية تسعة أشهر فتح فى أثنائها منطقة « باذغيس » كلها ، واستولى على حصونها ، وكان ذلك العمل وجميع جهود آل المهلب ممهدة للقيام بفتوح كبيرة فى بلاد الترك ، وراء النهر . ثم عزله الحجاج عام ٨٥ هـ ، وعين فى مكانه « قتيبة بن مسلم الباهلى » ــ وهو القائد الكبير الذى سيتم على يديه فتح بلاد ما وراء النهر حتى حدود الصين ، فى عهد الوليد بن عبد الملك .

وأما عن سجستان : فإن الحجاج كان ــ حين ولى على المشرق كله فى عام ٧٨ هـ ــ ولى عليها « عبيد الله بن أبى بكرة » . وفى العام التالى ٧٩ هـ ، وجه عبيد الله هذا بجيش لغزو « رتبيل » – وفى رواية « زنبيل » – ملك سجستان ، لأنه نقض عهد الصلح الذى كان بينه وبين المسلمين ، فتوجه القائد وغلب على البلاد ، وأوغل فيها حتى صار غير بعيد من العاصمة ، لكن العدو أخذ على المسلمين العقاب والشعاب ، وحاصرهم . فرأى ابن أبى بكرة أن يصالح رتبيل على مبلغ من المال ، ويخلى بينه وبين الخروج ، ولكن جنده عارضوا الصلح ، وأبَوا إلا أن يقاتلوا حتى الشهادة ، فقاتلوا ، حتى استشهد أكثرهم ونجا أقلهم .

فلما بلغ ذلك الحجاج ، صمم على أن يجهز جيشاً كثيفاً ويبعثه ليؤدب

« رتبيل » ، ويأخذ بثأر المسلمين ، وأرسل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يستأذنه فى ذلك ، فأذِنَ له ، فجهز جيشاً من أربعين ألفاً : عشرين ألفاً من الكوفة ، وعشرين ألفاً من البصرة ، وأعدهم بكل ما يحتاجون إليه ، وأعطى الناس أعطياتهم كاملة ، وأمدهم بالخيول الروائع ، والسلاح الكامل ، فكان هذا الجيش يدعى « جيش الطواويس » لكامل رونقه وحُسن عدته . وولى الحجاج قائدًا على هذا الجيش « عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث الكندى » . فخرج هذا الجيش إلى مقصده فى عام ٨٠ هـ .

وصل الجيش إلى بلاد « رتبيل » ، فأرسل هذا يعتذر ويسأل الصلح ، فلم يقبل منه . وسار عبد الرحمٰن فى غزوه لتلك البلاد وفق خطة منظمة ، ومتخذًا إجراءات الاحتياط : فكلما حوى بلدًا بعث إليه عاملاً ، وبعث معه أعواناً ، ووضع البُرُدَ [1] فيما بين كل بلد وبلد ، وجعل الأرصاد على العقاب والشعاب ، ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى إذا حاز من بلاد رتبيل أرضاً عظيمة ، وملأ يديه من المغانم ، حبس الناس عن الوغول فى أرض رتبيل ، وقال نكتفى بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ، ثم نتعاطى فى العام المقبل ما وراءها ، وهكذا حتى يتم فتح البلاد . وكتب إلى الحجاج يعلمه بما فتح الله عليه من بلاد العدو ، وبما صنع الله للمسلمين ، ويخبره برأيه هذا .

فكتب إليه الحجاج : « أما بعد ، فإن كتابك أتانى ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وكتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح إلى الموادعة ، قد صانع عدوًّا قليلًا ذليلًا قد أصابوا من المسلمين جندًا كان بلاؤهم حسناً ، وغناؤهم فى الإسلام عظيماً ، وإنى لم أعدد رأيك رأى مكيدة ، ولكن رأيت أنه لم يحملك عليه إلا ضعفك والتياث رأيك ، فامضِ لما أمرتك به من الوغول فى

---

(١) جمع « بريد » .

أرضهم » . وفى كتاب تالٍ أمره بالوغول ، وإلا فإن أمير الناس أخوه إسحاق ابن محمد ، بدلا منه .

أما بلاد ما وراء النهر ، وهى التى تقع شمال نهر جيحون (نهر آمودا ريا الآن) فكان بطل فتح هذا الإقليم هو القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلى . وكان الحجاج بن يوسف الثقفى قد أشار على الخليفة عبد الملك بن مروان فى سنة ٨٥ هـ ــ ٧٠٤ م بتعيين قتيبة هذا والياً على خراسان ، فاتخذ قتيبة مدينة « مرو » قاعدة له ، قاد منها فى نحو عشر سنوات عددًا من الحملات الحربية الموفقة فى خراسان وفيما وراء النهر .

ويرى بعض المؤرخين أن إقليم ماوراء النهر كان سكانه أتراكاً ، ويرى البعض الآخر أن سكانه من الإيرانيين ، والواقع أن سكان هذا الإقليم كانوا من العناصر الإيرانية ومن الترك الذين طبعوا بطابع المدنية الإيرانية ، كذلك لم يكن هذا الإقليم موحد السلطة ، فكان مقسماً إلى مناطق ، كل منطقة قائمة بذاتها .

وكان من حسنات الحجاج أن حمل أهل العراق على الاشتراك فى فتح تلك البلاد الشرقية تحت قيادة قتيبة . ويذكر البلاذرى والطبرى أنه كان فى جيش قتيبة أربعون ألف مقاتل عربى من البصرة ، وسبعة آلاف من الكوفة ، وسبعة آلاف من الموالى . كذلك يذكر المؤرخون أنه وصل إلى خراسان وما وراءها أقدام العرب الفاتحين فى حروبهم الأولى أيام عثمان بن عفان ، ولكن المسألة لم تتعد حد الغارة والغزو ، إذ ما لبثت الفتوحات أن توقفت بعد قيام الفتنة فى خلافة عثمان ، أما الخلفاء الأمويون والوليد فقد استأنفوا الحروب فى تلك الأصقاع النائية بغرض الفتح المنظم ونشر الإسلام ، وإعلاء كلمة العرب ، وتوسيع حدود الدولة العربية ونشر تقاليدها ، وحماية حدود دولة العرب ، ورد هجمات المعتدين عليها ، فضلا عن استثمار البلاد . وتمكن قتيبة بن مسلم الباهلى بعد عدة حملات من استرجاع طخارستان وعاصمتها « بلخ » فى

الشمال الشرق من خراسان وكان ذلك فى سنة ٨٦ هـ ــ ٧٠٥ م ، وكان ممن سبى قتيبة فى بلخ امرأة برمك ، أبى خالد بن برمك ، وكان برمك ــ جد البرامكة الذين نبغوا فى العصر العباسى ــ سادناً لمعبد النوبهار ، أكبر بيوت النار المجوسية زمن الملوك الساسانيين .

وكان قتيبة يشجع جنده على الإقدام فى الحرب والفتح فى تلك البلاد القاصية الضروس ، ويمكننا أن نستبين الدوافع التى جعلت المسلمين يقدمون على مثل تلك الفتوحات العظيمة مما نقله المؤرخ الطبرى عن قتيبة حين استعرض جنده فى خراسان ليحثهم على الجهاد فقال : « فخطب الناس قتيبة وحثهم على الجهاد وقال : إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه ، ويذب بكم عن الحرمات ، ويزيد بكم المال استفاضة والعدو وقماً ، ووعد نبيه ﷺ النصر بحديث صادق وكتاب ناطق ، فقال : (هو الذى أرسل رسوله بالهُدَى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون) . ووعد المجاهدين فى سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده فقال : (ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله) ثم أخبر عمَّن قتل فى سبيله أنه حى مرزوق فقال : (ولا تحسبن الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يُرزقون) » (١) .

وبعد أن ثبت قتيبة أقدام العرب فى خراسان وقدم له عظماؤها ودهاقينها الولاء والطاعة ، عبر قتيبة نهر جيحون فتلقاه ملك الصغانيان فيما وراء النهر ، وأهدى إليه كثيرًا من الهدايا ، وسلم إليه بلاده ثم قفل قتيبة راجعاً إلى مرو ، وتقدم جنده فسبقهم إليها .

وكان الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراق والمشرق كله ، يشرف على

---

(١) الطبرى : تاريخ ج ٨ ص٥٩ .

الفتوح أولا بأول ، ويدلى برأيه فى كل الأمور التى تحتاج إلى رأى ، ويشجع قتيبة إذا وجد صعوبة ومقاومة من أهل هذه البلاد النائية ، ويلومه إذا علم أنه لا يتصرف كما يجب . ويذكر الطبرى أنه لما عاد قتيبة إلى مرو تاركاً جنده وراءه كتب إليه الحجاج يلومه ويعجز رأيه فى تخليفه الجند ، كتب إليه : « إذا غزوت فكن فى مقدم الناس ، وإذا قفلت فكن فى أخرياتهم » (١) .

ثم جهز قتيبة حملة ثانية وعبر نهر جيحون وغزا بيكند فى سنة ٨٧ هـ ، فتجمع لمحاربته التركمان وقطعوا عليه خط الرجعة ، وانقطعت أخباره عن الحجاج ، ولم يصل منه رسول مدة شهرين ، فأشفق الحجاج على الجُند وأمر الناس بالدعاء لهم فى المساجد طالبين من الله أن ينصرهم على أعدائهم ، وبعد شهرين جاء الخبر من قتيبة يعلن نصره المبين ، وأصاب المسلمون من بيكند من الذهب والفضة مالا يحصى ، ولم يظفر المسلمون فى خراسان بغنائم مثل تلك التى ظفروا بها فى بيكند ، ثم عاد المسلمون مع قائدهم إلى مرو ، واشتروا السلاح والخيل ، وجلبت لهم الدواب ، وتنافسوا فى حُسن الهيئة والعدة ، ولما أقبل الربيع عبر قتيبة النهر مع جنده وخرج لغزو بخارى ، وكان قتيبة يقود حملاته إذا أقبل الربيع إلى ما وراء نهر جيحون ثم ينسحب فى الخريف إلى مدينة مرو قاعدة خراسان حيث يقضى أشهر الشتاء .

عبر قتيبة نهر جيحون لفتح بخارى ، وكانت من أكبر بلاد الصغد ، ولما قاومت تركها قتيبة ، فكتب إليه الحجاج يأمره أن يصورها له ، فبعث إليه قتيبة بصورتها ، وكان أن رد الحجاج يلوم قتيبة ويأمره بتجديد الهجوم من أمكنة حددها له ، ففعل قتيبة واستولى عليها بمساعدة بنى تميم ، وأبدت نساء العرب شجاعة فائقة فى إلهاب حماس الرجال ، فإنهن ضَرَبْنَ وجوه الخيل وبَكَيْنَ حتى كر الناس راجعين إلى الحرب . وكان فتح بخارى على إثر سلسلة

(١) الطبرى : تاريخ ج ٨ ص ٦٠ .

من الحملات المتتابعة ، وألزم قتيبة أهل بخارى بعد فتحها لأول مرة ــ كما ألزم غيرها من أهالى البلاد المفتوحة ــ أن يمدوه بقوة إضافية من الجيوش المحلية تتراوح عادة بين ١٠,٠٠٠ و ٢٠,٠٠٠ رجل يقومون بالخدمة مع الجيوش العربية .

وأسس قتيبة فى بخارى جامعاً عرف باسم « جامع قتيبة » لايزال باقياً إلى يومنا هذا ، كذلك دمر العرب بيت النار فى بخارى ، وتقدمت جيوش ابن باهلة فى بلاد الصغد ، وأخذ قتيبة يفتتح مدنها المختلفة ، ففتح سمرقند ، وكذلك فتح خوارزم (المعروفة باسم خيوا) ، وهناك وصلته الأخبار بأن أهل سمرقند انتقضوا وثاروا ، فذهب قتيبة إليهم ونصب حول مدينتهم المجانيق . وحدث بين العرب وبين أهل سمرقند قتال شديد يشهد باستماتة العرب فى جهادهم ، ثم أعز الله قتيبة بفتح سمرقند فدخلها ظافرًا منتصرًا وفرض على أهلها غرامة كبيرة . وكانت سمرقند مملوءة بالمعابد ، وكانت الأعاجم تقول إن من ينتهك حرمتها يهلك ، فلما أحرقها قتيبة ولم ينله أذى أسلم منهم خلق كثير . وكان لقتيبة الفضل فى إنشاء أول مسجد فى سمرقند .

وقد وطد قتيبة مركزه فى بلاد ما وراء النهر بهذه الانتصارات والفتوح الباهرة . وعانت بلاد الصغد كثيرًا من المحن من جراء هذه الحروب المستمرة ، حتى إن أحد شعراء ذلك الزمان أشاد بفتوحات قتيبة فى بلاد الصغد قائلًا :

باهلىٌّ قد ألبس التاج حتى ... شاب منه مفارق كُنَّ سُودا
دَوَّخَ الصغد بالكتائب حتى ... ترك الصغد بالعراء قعودًا (١)

وانتدب قتيبة لهذه البلاد المفتوحة حكاماً من العرب لإدارة الشئون الحربية وجباية الأموال ، أما الإدارة المدنية فقد تركها إلى حكام من أهل البلاد نفسها .

---

(١) انظر : ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ص ٢٣٦ (بولاق ١٢٧٤ هـ) .

ثم غزا قتيبة الأقاليم المحيطة بنهر سيحون ، وخاصة الشاش (طشقند اليوم) وفرغانة ، وذلك بين سنتى ٩٤ ــ ٩٦ هـ (٧١٣ ــ ٧١٥ م) فبلغ خجندة وكاشان مدينتى فرغانة .

وكان نهر سيحون ، وليس نهر جيحون ، هو الحد الطبيعى الذى يفصل بين إيران وطوران ، أى بين الشعوب الناطقة بالإيرانية والشعوب الناطقة بالتركية والمغولية ، ولذا فإن عبور قتيبة لنهر سيحون كان أول تَحَدٍّ مباشر من العرب للشعوب الطورانية والمغولية .

وكان قتيبة يغزو الشاش فى سنة ٩٥ هـ حين أتاه خبر موت الحجاج ، فَغَمَّه ذلك وقفل راجعاً إلى مرو ، وتمثل قائلا :

فَإنْ تَحْيَ لا أملل حياتى ، وإن تَمُتْ
فمـا فى حيـاةٍ يَعْـدَ موتـك طائـلُ

لكن الخليفة الوليد بن عبد الملك لم يرد أن تثبط عزيمة ذلك البطل العربى الذى ملأت شجاعته صفحات مشرفة للبطولة العربية ، وللعزيمة التى تتحدى اليأس ، والتى لا تعرف الكلل أو الملل ، فكتب إليه الخليفة يقول : « قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك فى جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين رافعك ، وصانع بك كالذى يجب لك فألمم مغازيك وانتظر ثواب ربك ، ولا تُغَيِّبْ عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأنى أنظر إلى بلادك والثغر الذى أنت به » (١) .

ولم يخيبْ قتيبة ظن الخليفة ، فشمر عن ساعد الجد والجهاد ، واستمر فى حروبه ففتح كاشغر فى التركستان الصينية ، وكانت أقرب المدن إلى الصين ، وذلك فى سنة ٩٦ هـ ــ ٧١٥ م ، وأرسل إلى إمبراطور الصين « يوانغ

(١) الطبرى : تاريخ ، ج ٨ ص٩٦ .

جونغ » وفدًا مع رسالة يطلب منه الطاعة والجزية [1] . وذكرت المصادر العربية أن ملك الصين قال لهبيرة بن المُشَمْرج الكلابى زعيم الوفد العربى « انصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف ، فإنى قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه » فأجاب هبيرة : « كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادرًا عليها وغزاك ؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل .. فلسنا نكرهه ، ولا نخافه » . قال : « فما الذى يرضى صاحبك ؟ » قال : « إنه قد حلف أنْ لاينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويعطى الجزية » . قال : « فإنا نخرجه من يمينه ، نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطأه ، ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه بجزية يرضاها » فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب ، وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم فأحسن جوائزهم ، فساروا فقدموا بما بعث به ، فقبل قتيبة الجزية وختم الغلمة وردهم ووطىء التراب [2] .

والواقع أن مجهودات قتيبة بن مسلم الباهلى العظيمة ، ومَنْ جاء بعده من القواد العرب زمن الأمويين جعلت إقليم ما وراء النهر يندمج بدولة العرب ، وكان ذلك فاتحة لاتصال العالم الإسلامى بأواسط آسيا وبالجنس التركى الذى أتيح له بعد ذلك أن يكون ذا شأن عظيم فى شئون الدولة الإسلامية ، وخاصة فى العصر العباسى . كذلك كان لقتيبة بن مسلم ومجهوداته الفضل فى أن تصبح بخارى وسمرقند وإقليم خوارزم مراكز للثقافة العربية ولنشر الإسلام فى آسيا الوسطى ، كما كانت مرو ونيسابور فى خراسان .

كذلك زادت فتوحات قتيبة بن مسلم من الاتصال بين الدولة الإسلامية

---

(١) الأستاذ الصينى المسلم « بدر الدين حى الصينى » : العلاقات بين العرب والصين (مكتبة النهضة المصرية ــ الطبعة الأولى ١٩٥٠) ص ٢٧ .

(٢) الطبرى : تاريخ ، ج ٨ ص ١٠٠ ــ ١٠١ .

وبين الصين فى أشكالها المختلفة ، سواء أكان سياسيًّا أم تجاريًّا أم دينيًّا أم فنيًّا أم ثقافيًّا .

والمعروف أن العرب حين فتحوا فرغانة فى إقليم ما وراء النهر وجدوا فيها شيئاً كثيرًا من بدائع التحف الصينية ، ولا غرو ، فإن هذه الأقاليم تقع على مقربة من حدود الصين ، وكان أهلها متصلين بالصين منذ العصور القديمة ، كما أن صناعاً من الصينيين كانوا بين الأسرى الذين وقعوا فى يد العرب حين فتحوا تلك الأصقاع (١) .

وقد ذكرت المراجع التاريخية أن قتيبة بن مسلم الباهلى رضى بهدية إمبراطور الصين ، إذ وصل إليه حينئذ خبر وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك وبيعة أمراء دمشق لسليمان بن عبد الملك .

وكان سليمان بن عبد الملك يحقد على قتيبة وغيره من الزعماء الذين استشارهم الخليفة الوليد فى عزله عن ولاية العهد ، فوافقوا الخليفة على عزله ، وقد تحقق ظن قتيبة ، إذا أرسل الخليفة سليمان بن عبد الملك يعزل قتيبة ، ومالبث قتيبة أن قُتل .

وتوقفت فتوحات العرب إلى الشرق الأقصى بعد وفاة الوليد بن عبد الملك ، وبعد مقتل قتيبة ، وتخلصت الصين بذلك من غزو العرب لها ، لكن الصين لم تستطع مقاومة نفوذ الدين الإسلامى الذى كان ينتشر بسرعة إلى أواسط آسيا مع الفتوحات ، ومن الراجح أن بعض أهالى تركستان الصينية قد اعتنقوا الإسلام زمن قتيبة .

---

(١) الدكتور زكى محمد حسن : الصين وفنون الإسلام ، ص ١٩ « القاهرة ١٩٤١ » .

الفتح الإسلامى للهند

كان العرب وحدهم فيما قبل الإسلام ، واسطة مقايضات التجارة الهندية ، ماورد منها برًّا ، عن طريق بلاد فارس ، فتولاه المناذرة والغساسنة ليبلغوا به موانى الشام ، أو بحرًا ، عن طريق المحيط الهندى والبحر الأحمر ، فحمله اليمنيون من أبناء سبأ القديمة ، فمنه ما كان من نصيب القرشيين فى رحلة الشتاء ، التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، ليسيروا بدورهم بأكثره فى رحلة الصيف إلى بلاد الشام ، ومنه ماكان من نصيب تجار مصر ليقايضوا عليه تجار الرومان والإغريق بموانئهم على ربح طائل وفير .

هكذا كان العرب فى القديم على معرفة غير قليلة بالهند وأحوالها عن طريق تجارهم الذين نزلوا بهذه البلاد فى غربها فاختلطوا بأهلها ، ولقوا فى الغالب حفاوة وعناية عند حكامها ، ليعودوا إلى بلادهم فى كل مرة فيدهشوا الناس بما يروونه لهم عن ثراء الهنود الطائل ، ومالهم من غرائب العادات والمعتقدات ، ويبهروا أنظارهم بما يعرضونه عليهم من لآلىء الهند ونفيس معادنها ومنسوجاتها وعطورها وثمارها ، ثم سيوفها التى اشتهرت بها .

كذلك وقف العرب القدماء على جانب من حضارة الهند وأخبارها ومابها من ثقافات عن طريق المدارس العلمية فى أرض الفراتين ، مهد الحضارات القديمة ومجمعها التى كانت على اتصال وثيق بالهند ، ترد إليها بضائعها ويفد إليها علماؤها ، وقد تخرج على أيدى الهنود بمدرسة جند يسابور الساسانية فريق من العرب ، منهم الحارث بين كَلَدة الثقفى ، طبيب العرب قبل الإسلام ،

والذى قام على علاج الناس بفارس ، وطبَّ بعض سراتها فأعطاه مالا وجارية ، هى سمية أم زياد بن أبيه [1] .

وفتح المسلمون بلاد الشام ومصر ، وتخطت جيوشهم شمال إفريقية إلى بلاد الأندلس ، كما توغلوا فى بلاد فارس المترامية الأطراف ، وطرقوا أبواب بلاد ماوراء النهر ، فعظم شأن الدولة الإسلامية بهذه الفتوحات الكثيرة المهمة ، وقويت دعائم الخلافة الأموية بها .

وعهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك ، بأمر القسم الشرقى من بلاده إلى الحجاج بن يوسف الثقفى ، وكان محبًّا للفتح ، ميالًا إلى التوسع ، فوجه جند المسلمين إلى بلاد ماوراء النهر ، فدخلت بخارى وسمرقند وخجند وفرغانة ، حتى وصلت إلى قشغر على حدود الصين .

وكان من الطبيعى ألا يهمل الحجاج أمر إقليم السند ، باب الهند ذات الثراء الطائل ، الذى أصبح يجاور آخر حدوده الشرقية .

هذا وكان العرب ، أيام عمر ، قد خرجوا ، قبل فتحهم لفارس ، فى حملات خفيفة من البحرين وعمان إلى بعض سواحل الهند على مقربة من ميناء كراجى الحالية وبمباى ، ولكن ثانى الخلفاء الراشدين نهى عامله بالبحرين ، الحَكَم بن أبى العاص ، عن المضى فى هذا الأمر ، إذ كان يخاف البحر على جند المسلمين ، شديد الحذر من « حمل الدود على العود » على حد قوله .

على أن الحَكَم شجعه ما غنمه فى غزواته على الإغضاء عن أوامر خليفته طلباً للمزيد من الأسلاب ، وللتمكن من الاطلاع على أحوال تلك النواحى ، فبعث بأخيه المغيرة هذه المرة إلى دَيْبُل عند مصب السند ، فى حين قصد هو إلى « بروج » .

---

(١) ضُحى الإسلام لأحمد أمين ــ القاهرة ١٩٣٨ أول ص ٢٦٦ .

فلما فتح المسلمون العراق وفارس ، طلب عثمان بن عفان إلى عامله على العراق عبد الله بن عامر ، أن يوجه إلى ثغور الهند من يعلمه عنها ، فوجه إليها حكيم بن جَبَلة العبدى ، الذى بعث مخاوف الخليفة بحديثه عنها فصرف المسلمين عن غزوها (١).

ولم تنته خلافة عثمان على كل حال حتى كان المسلمون قد فتحوا كابل ، وانتشروا على حدود السند يستطلعون أخباره وأحواله جنوباً حتى البحر .

وغزا المسلمون من بعد ذلك إقليم فيقان السندى ليجيء المهلب بن أبى صفرة من بعدهم أيام معاوية فيغزو بنة والأهوار (لاهور) بين الملتان وكانه ، وعدل الذين خلفوا المهلب هناك عن الاهتمام بالمناطق الشمالية لوعورتها ، فعادوا إلى حصر جهودهم فى المنطقة الممتدة بين كابل ومكران عند الشاطىء .

وبعث الحجاج حين ولى العراق ، بسعيد بن أسلم إلى مكران ، فخرج إليه معاوية ومحمد بن الحارث العلافى فقتلاه ، إذ كانا من الخارجين على سلطان الأمويين فى هذه الجهات ، وكانا قد لقيا عند داهر ، ملك السند البرهمى ، كل ترحيب حين لجأا إليه برجالهما الخمسمائة ، وما لبثا حين نصراه فى بعض حروبه أن صارا من أصحاب الحظوة عنده .

وبلغ الحجاج الخبر فسأل الوليد الإذن بتسيير حملة إلى السند التى غدت ملجأ للخارجين على الدولة ، لكن الخليفة لم يجبه إلى طلبه ، حتى إذا ماتعرض قراصنة من ميد الديبل لسفن كانت قادمة من جزيرة الياقوت (سيلان) وفيها بنات وأرامل لتجار من المسلمين وافاهم الأجل هناك ، ومعهم هدية من ملك هذه الجزيرة للخليفة ، فاعتذر داهر ملك السند للحجاج ، حين ألح عليه فى تخليص نساء المسلمين من الأسر بعدم قدرته على لصوص البحر هؤلاء ، فسير

(١) فتوح البلدان للبلاذرى ، ص ٤٣٢ ، ٤٣٨ .

الحاكم الثقفى من فوره إلى ديبل عبيد الله بن نبهان فى قوة انتهى أمرها إلى الهزيمة والقتل ، ولقى بديل بن طهفة البجلى نفس المصير حين خرج من عمان بأمر الحجاج للغرض ذاته .

هنالك تبدى للحجاج مدى الإهانة التى تلحق بهيبة المسلمين وخطورتها ، إنْ هو سكت على هذا الأمر ، فما زال بالخليفة حتى أذن له بتسيير الجند لفتح السند ، فى الوقت الذى كانت فيه جيوش المسلمين تتوغل بالأندلس وجهتها بلاد الفرنجة .

واختار الحجاج ابن أخيه محمد بن القاسم الثقفى أميرًا للحملة السندية ، وطفق قائد هذه الحملة ـــ وكان يقيم إذ ذاك بشيراز ـــ يعد لها العدة طوال شهور ستة . وعنى الحجاج بالإشراف بنفسه على تزويد الجند بكل ماقد يحتاجون إليه من الذخائر والمؤن حتى أمدهم بالخيوط والمسال ، بل وكذلك بالخل [1] .

وأقبل محمد بن القاسم ـــ وهو دون العشرين من عمره ـــ يغزو بلادًا مترامية الأطراف ، متسعة الأرجاء ، اشتهر أهلها بأنهم رجال حرب أقوياء ، وأصحاب حضارة ومدنية عريضة ، وهو فى قلة من الجند ، إلى جانب كثافة جندهم ، وضآلة من الموارد بالقياس إلى ماكان يرويه الناس عن مبلغ ثرائهم .

وسار المسلمون من مكران وجهتهم ديبل فى اثنى عشر ألفاً من جند الشام والعراق ، وثلاثة آلاف بعير تحمل متاعهم ، أما عتادهم الحربى ـــ وكان قد قام على تجهيزه لهم محمد بن هارون حاكم مكران ـــ فقد اتخذ طريقه بحرًا ، فالتقى الجيش بسفنه فى ظاهر المدينة فى ربيع الأول عام ٨٩ هـ ـــ ٧٠٧ م .

---

(١) كان الخل يعالج بأن ينقع فيه القطن المحلوج فى الظل حتى يتشربه ويجف ، فإذا أريد استخراج مابه من الخل ثانية نقع فى الماء من جديد فيتحلل فيه .

وانضم إلى جيش المسلمين عند ديبل جموع كثيرة من رجال الميد والجات (الزط) ، وهما قبيلتان سنديتان هاجر كثير من رجالهما إلى خارج بلادهم لفرط ماكانوا يعانونه من سوء معاملة الحكومة البرهمية ، إذ كانوا فى عداد المنبوذين الذين يحرم عليهم امتطاء الدواب أو ارتداء غالى الثياب ، ولم يكن يباح لهم من المهن والحرف إلا أدنؤها .

وأفاد الغزاة المسلمون من رجال الميد والزط ، إلى جانب شجاعتهم فى الحرب وشدة جَلَدِهم فيها ، معرفتهم بمسالك السند ودروبها ، وأحوال أهلها وأساليبهم فى النزال .

ورابط الغُزاة بخنادقهم بظاهر ديبل خلف أسوارها ، فأخذوا يقطعون الأقوات والمدد عن سكانها الذين لبثوا على مقاومتهم ، حتى إذا مانصب محمد ابن القاسم منجانيقه الكبير « العروس » وحوله خمسمائة من الرجال الأكفاء يقومون عليه ، فدق بقذائفه معبد الهنادكة الأكبر بالمدينة فهدمه .. استولى الرعب والفزع على السكان ، وشاعت الفوضى بينهم ، ليقتحم المسلمون المدينةعليهم من بعد ذلك ، واستمر القتال بين الفريقين المتحاربين فى عنف بالغ انتهى إلى فرار أمير السند داهر وفلوله من الميدان .

وبنى القائد الثقفى بالمدينة مسجدًا ، وعمر المسلمون أحد أحيائها ، وترك بجانبهم حامية قوامها أربعة آلاف من الجند ، ثم واصل زحفه فبلغ مدينة نيرون (١) على الضفة الغربية للسند ، فما عتم أهلها ، وكانوا بوذيين يدينون بعدم العنف والبعد عند إراقة الدماء أن أبرزوا له عهدًا بالأمان كانوا قد حصلوا

---

(١) تقع هذه المدينة على مسافة ٧٥ ميلاً من مكران ، وتعرف أيضا باسم نيرانكوت ، وموقعها حيدرآباد السند الحالية . ويغلط بعض الكتّاب فيكتبون نون الكلمة الأولى باءً وينسبون إليها على ذلك العلامة البيرونى ، وهو خطأ شنيع فمدينة بيرون مسقط رأس هذا العلامة هى بإقليم خوارزم .

عليه من الحجاج ، يوم أن سار بعض عماله من قبل إلى غزو السند ، فأكده لهم بدوره .

وفيما كان الغزاة على أهبة التقدم بجموعهم صوب الشمال ، ورد على قائدهم كتاب من الحجّاج يلح عليه فيه بتعديل اتجاهه إلى شاطئ السند الشرق حيث يرابط عدوه فى جموعه .

هنالك رجع ابن القاسم عن موقع سيوى ، الذى كان قد بلغه عند الشمال من نيرون ليفاجئ عدوه بعبور النهر إليه ليلاً ، فلم يملك داهر إلا أن يرتد كَرَّةً أخرى إلى حصن راور فيمتنع فيه إلى حين .

واشتبك الخصمان فى قتال عنيف ، انتصر فيه المسلمون برغم مواجهتهم فيلة الحرب لأول مرة ، وقتل داهر ، وكان يمتطى فيلاً اشتد به العطش فثار على فيّاله واندفع إلى النهر ، فترجل الملك وأخذ يبارز على قدميه حتى أصابت سيوف العرب منه مقتلاً (١) .

وبلغ الخبر رانى باى ، وكانت أختاً لداهر بنى بها ، فجمعت بالقلعة خمسة عشر ألفاً من الجند ، أخذوا يقذفون العرب بوابل من سهامهم ، ومن النفط المشتعل ، وقطع الصخر ، فلم يُجْدِهِم ذلك كله نفعاً ، هنالك دعت أرملة الملك نساء الحصن ليلقين بأنفسهن فى النيران فلا يقعن بأيدى الغزاة .

واستولى محمد بن القاسم فى راور على الكثير من أموال داهر وكنوزه ، ووقع فى أسره خلق كثير ، كان من بينه بعض الأميرات ، فبعث بهم جميعاً إلى عاصمة الخلافة .

وزحف المسلمون بعد ذلك صوب الشمال مشرقين حتى بلغوا مدينة

---

(١) تاريخ اليعقوبى ، طبع ليدن عام ١٨٨٣ ــ ثان ص ٣٤٦ .

برهمنآباد وكان قد فر إليها ابن لداهر يدعى جاى سنك ، بعد سقوط راور ، فأحكم من تحصينها وسد منافذها . واقتحم الغزاة المدينة على أهلها بغتة وعنوة ، فلم يملك ابن داهر إلا الفرار شمالاً مستجيرًا بملك كشمير ، فى حين سقط فى الأسر زوجة أخرى لداهر تدعى لادهى وبعض بناته ، إذ أذهلتهم المفاجأة عن سلوك السبيل الذى سلكته رانى باى وصويحباتها فى راور من قبل .

وأقام القائد العربى بهذه المدينة فترة من الزمن دبر فيها شئون المناطق المفتوحة ونظم إدارتها . ومما يؤثر عنه أنه أكرم رؤساء الهنادكة من رجال الدين هناك ، وأطلق لهم حرية العبادة ، على أن يوالوا المسلمين ويدفعوا مايفرض عليهم من جزية عن طيب خاطر .

وبلغ الجيش العربى الرور [1] عاصمة داهر ، وكان ابنه قد تحصن فيها من جديد ، وراح ــ فى سبيل حث قومه على المقاومة ــ يلقى فى روعهم أن ملكهم إنما قد اختفى ليعود إليهم فى القريب بجند وسلاح كثير . واستمات الهنادكة فعلاً فى مقاومة الغزاة ودفعهم دفعاً شديدًا ، حتى إذا مافطن محمد ابن القاسم لخدعة خصمه بعث بلادى أرملة داهر ، وكان قد بنى بها ، فنادت فى قومها بأدنى الأسوار تؤكد لهم موت ملكهم ، فانهارت قواهم على إثر ذلك بعدما عانوا طويلا من انقطاع الماء عنهم وطول الحصار من حولهم .

وعبر الغزاة من بعد ذلك بياس ، رافد السند ، إلى مدينة الملتان ، أعظم مدن السند الأعلى وأقوى حصونه ، فامتنعت عليهم شهورًا ستة نفدت فيها مؤنهم ، فطعموا الحمر حتى أتاهم رجل مستأمن دلّهم على مدخل الماء الذى يشرب منه السكان فقطعوه عليهم ، فنزلوا إلى قتالهم فى معركة شديدة

---

(١) تعرف هذه المدينة أيضاً باسم آلولى .

استمرت أياماً سبعة ، اقتحم المسلمون الأسوار من بعدها ، واستولوا على المدينة كلها .

وفى الملتان آخر حصون السنديين الكبرى أقبل على محمد بن القاسم الأعيان والتجار وأصحاب الحرف فى عدد كبير من سكان الأقاليم المجاورة من رجال الميدوالجات ، الذين كانوا يعانون من ظلم البراهمة ، والذين كان قد بلغهم الكثير عن تسامح هذا القائد العربى وكرمه وكَفِّه لأيدى رجاله عن السلب والنهب ، فأعلنوا جميعاً ولاءهم له ، فأمَّنهم على أنفسهم وأموالهم .

ودل أحد البراهمة محمد بن القاسم ، تقرباً منه ، على مكان خفى بأحد المعابد القريبة ، كان ملوكهم يودعون فيه أموالهم وكنوزهم ، فوجد به من المال الكثير ما مكنه من أن يرد إلى بيت مال المسلمين ضعف نفقات الحملة السندية ، وكان الحجاج قد تعهد بذلك للخليفة بادئ الأمر ، فحَمَل إلى دمشق عشرين ومائة ألف ألف درهم ، دون أن يُضار الأهلون فى أموالهم ، أو يفرض عليهم من الغرم مالا يطيقونه (١) .

وهكذا كان لحَمِيد مَسْلَكِ ابن القاسم مع الأهلين فى حُسن معاملته لهم وتأمينهم على أموالهم وأنفسهم ، وإطلاق حرية العبادة لهم ، أبعد الأثر فى نفوس القوم ، مما ساعد كثيرًا على توطيد مركز المسلمين هناك (٢) .

وكتب الفاتح العربى من بعد ذلك إلى الحَجَّاج يستأذنه فى فتح مملكة قنوج ، أعظم إمارات الهند ، وكانت تمتد من السند إلى البنغال ، فأجابه إلى طلبه وشجعه على المضى فى خطته .

هنالك بدأ محمد بن القاسم أولا بإيفاد بعثة من رجاله إلى صاحب قنوج

---

(١) تاريخ الكامل لابن الأثير الجزرى ، طبع بولاق مجلد ٤ ص ٢٠٩ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢١٠ .

تدعوه إلى الإسلام أو الجزية ، حتى إذا مارد الملك الوفد ردًّا غير كريم ، أخذ الفاتح العربى يعد العدة لغزو عدوه ، فجهز لذلك جيشاً فيه عشرة آلاف من الفرسان ، وعليه قائده أبو الحكم .

على أنه لم يكد يفرغ من إعداد حملته هذه حتى وافته الرسل تنبئه بوفاة الحجاج ، ثم وفاة الوليد بن عبد الملك من بعده ، وانتقال الخلافة إلى سليمان الذى أرسل يستدعى فاتح السند للقدوم إليه .

وكان سليمان بن عبد الملك يكره الحَجَّاج وينقم عليه ، لتأييده الوليد حين عزم على جعل ولاية العهد لابنه بدل أخيه هذا ، لم يمنع موت الوليد ــ قبل أن يتم هذا الأمر ــ سليمان من إنزال نقمته فى عنف بكل مَنْ كان يَمُتُّ للحجَّاج بِصِلَةٍ .

ولقد كان بوسع محمد بن القاسم أن يعتذر عن عدم تلبية دعوة الخليفة ، بل ويرفض المسير إليه مستقلا بما فتح من بلدان ، وما استولى عليه من أراضٍ ، وهو الذى استطاع أن يخضع السند لراية الخلافة فى مدة لا تتجاوز سنوات ثلاثاً ، صار من بعدها يتمتع بمحبة الأهلين وولائهم له هناك ، ولكنه آثر ألّا يشق عصا الطاعة على خليفة المسلمين ، برغم توجس الشر منه .

فَحُمِلَ مُقَيَّدًا بالأغلال حتى بلغ « باسط » فلقى بها من العذاب النكر على أيدى أعوان سليمان وأعداء الحجاج من آل المهلب ، حتى لقى حتفه ، فبعثوا برأسه إلى دمشق .

وترد بعض الروايات غضب الخليفة الأموى على محمد بن القاسم إلى عبثه بسبى الهند حينما بعث به إلى دار الخلافة ، وكان فيه ابنتان لداهر ، هما بارمل ديوا ، وسوراج ديوا ، فما إن اختلتا بسليمان حتى صرحتا له باعتداء الفاتح العربى عليهما قبل مسيرهما إلى دمشق ، فهاج للخبر ، وأمر بقتل ابن القاسم وأن يُحمل إليه فى جلد ثور محشو بالتبن . وتقول الرواية من بعد ذلك إن

الأميرتين حين عُرض عليهما رأس القائد الثقفى ، عدلتا عن قولهما السابق واعتذرتا عنه بما يحملانه من ضغينة وحقد لقاتل أبيهما ، فَسِيقَتَا إلى حتفهما بافترائهما وغدرهما .

وليس لهذه القصة سند عند ثقات المؤرخين على كل حال .

وفتر اهتمام الخلافة من بعد ذلك بأمر الفتوح فى شبه القارة الهندية ، إذ كانت بوادر الانحلال والضعف قد بدأت تظهر فى الدولة الأموية ، فى حين حرصت الدولة العباسية من بعدها على عدم التوسع الكثير فى الفتح بعد أن عظمت رقعة الدولة الإسلامية وترامت أطرافها ، يُضاف إلى ذلك أن الولايات السندية ، فضلا عن جدبها النسبى وضعف خراجها ، كانت لاتزال محوطة فى الشمال والشرق بإمارات قوية يحكمها الهنادكة ، كما كان سكان البلاد أنفسهم قد طفقوا بدورهم يثورون فى وجه ولاتهم من العرب الذين حادوا فى الغالب عمَّا استنه محمد بن القاسم من الرفق بالرعية وإشاعة العدل والتسامح بينهم .

وهكذا شغل أكثر الولاة المسلمين فى السند بإقرار الأمن والسلام بداخل البلاد وعلى حدودها ، فانصرفوا عن التفكير الجدى فى المضى فيما بدأه محمد ابن القاسم من الفتوح ، وأخذت الاضطرابات تنتشر فى السند ، حتى قامت بين القبائل العربية نفسها هناك ، من النزارية واليمنية الذين لم يتركوا أى بقعة حلوا بها فى أراضى الدولة الإسلامية الواسعة ــ سواء فى أرض الشام أو بلاد الأندلس أو السند ــ إلا واعتركوا فيما بينهم بها ، وزاد من تفاقم الأحوال بالسند نفوذ الخوارج والشيعة والقرامطة إليه ، فانكمشت أملاك المسلمين هناك من جراء ذلك كله ، فلم يبق لهم إلا المنصورة والملتان .

وتفصيل ذلك كله أنه قد خلف محمد بن القاسم على ولاية السند يزيد بن أبى كبشة السكسكى من قبل سليمان بن عبد الملك ، ولكنه مالبث أن قَضَى على إثر وصوله بأيام قليلة . وأدى اضطراب الأحوال على إثر هذا الحادث إلى

أن انتهز جاى سنك ابن داهر المقتول هذه الفرصة فانقض على مدينة برهمناباد فاستخلصها لنفسه ، فلم يستطع حبيب بن المهلب حين ولى السند أن يستردها منه ، حتى إذا مابعث الخليفة عمر بن عبد العزيز بعامله عمرو بن مسلم الباهلى ــ أخى قتيبة ــ إلى هذه البلاد أوصاه بالرفق بأهلها ، والعمل على ترغيبهم فى الدخول فى الإسلام دون إكراه أو قسر ، فصادفه التوفيق والنجاح فيما نُدب له ، حتى أقبل ولد داهر نفسه على اعتناق الإسلام فأقره على إمارته .

وحاول فريق من آل المهلب عقب وفاة عمر بن عبد العزيز الذى كان قد ألقى بهم فى السجن لطغيانهم وتبديدهم لأموال المسلمين أن يشيعوا الفتن فى الجزء الشرقى من الدولة الإسلامية حتى بلغوا بها السند التى لاذوا بها ، لكنهم باءوا آخر أمرهم بالفشل وقضى عليهم .

وصار أمر السند فى عهد هشام بن عبد الملك إلى جنيد بن عبد الرحمٰن المرى ، وكان حاكماً حازماً استرد إمارة برهمناباد من أيدى جاى سنك بعد أن قتله ، كما سيرجنده فى غزوات ناجحة بلغت يوجين ومالوه والكجرات عند شرقى السند وجنوبه الشرقى ، حتى إذا ما خلفه تميم بن زيد العتبى أضاع بتردده وضعفه كل ما بذله سلفه من جهود .

وجاء السند من بعد ذلك الحكم بن عوانة وفى صحبته عمرو بن محمد بن القاسم الذى انفرد بالحكم من بعده ، وفى عهدهما بنيت مدينتا المحفوظة والمنصورة على شاطئ السند ، غير بعيد من برهمناباد ، وصارت الأخيرة حاضرة المسلمين فيما بعد ، وموقعها اليوم مشارف حيدر آباد السند . هذا وقد نهج عمرو خاصة نهج أبيه محمد بن القاسم فى الحزم والعدل ، وأحيا سيرته فى التسامح الدينى وإطلاق حرية العبادة للهنادكة .

واقتحم السند ــ على يزيد بن غرار ، خليفة عمرو هناك ــ ثائرٌ من

الخارجين على سلطان الخلافة الأموية يدعى منصور بن جهور الكلبى ، فاغتصب هذه الإمارة عام ١٣٠ هـ لنفسه .

وقضى العباسيون على الخلافة الأموية ، فعهد السفاح أول خلفائهم بأمر الأقاليم الإسلامية إلى نصيره أبى مسلم الخراسانى ، الذى بعث بدوره إلى السند بعبد الرحمٰن بن أبى مسلم العبدى ليفشل فى طرد جهور بن منصور الكلبى منها ويلاقى حتفه على يديه ، حتى وفد موسى بن كعب التميمى ، فمازال بالثائر الكلبى يطارده إلى أن هلك فى الصحراء عطشا ، فى حين لقى أخوه نزار مقتله على يديه . وطفق موسى من بعد ذلك يستميل قلوب الناس إلى دعوة بنى العباس ، ويعمل على التفافهم حوله ، فجدد بناء المنصورة ، وأقام بها مسجدًا جديدًا ، وبلغ بجنده بعض غزوات موفقة .

وخلف المنصور السفاح ، فبعث إلى السند بعمر بن حفص ، وكان هذا الوالى الجديد الذى عرف بحسن تدبيره وحزمه على تشيع وثيق للعلويين دون الجهر ، حتى رحب فى بلاده بأحد زعمائهم حين جاء إليها هرباً من وجه العباسيين ، فكان عهده هذا هو بداية انتشار التشيع بالسند ، ذلك أن عبد الله ابن محمد الأشتر الحسنى العلوى كان قد ورد السند مستترًا فى هيئة التجار (١) ، فما إن عرف بميل أميره إلى أهل البيت حتى كشف له عن أمره ، فنال عنده كل حظوة ورعاية ، ولكن كان أنْ خاف عمر بطش الخليفة ، فأنزل العلوى مع أتباعه عند أمير هندوكى فى أحد البلاد المجاورة ، موالياً رعايتهم والعناية بأمرهم فى الخفاء . ومضت سنوات عشر على هذا الحال حتى علم الخليفة بالأمر ، فكتب إلى عامله السندى يأمره بغزو بلاد الأمير الهندوكى ومطاردة الشريف العلوى ، وما إن أحس الخليفة مماطلة عمر فى تنفيذ ما أمره به حتى نقله إلى شمال إفريقيا ، وبعث مكانه بهشام بن عمرو التغلبى .

---

(١) تاريخ الطبرى ، طبع القاهرة ١٣٢٣ هـ المجلد التاسع ، حوادث سنة ١٥١ من ٢٧٩ ــ ٢٨١ .